جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : منهجية البحث الفلسفي **السنة الثانية**

السداسي الرابع **د : بوزبرة عبد السلام**

المحاضرة السابعة :07

المنهج الجينيالوجي عن نتشه.

شكل الفكر النيتشوي على مر العصور طريقة فريدة في التفلسف على غرار بعض الفلاسفة السابقين عليه كهيراقليدس على سبيل المثال، و قد صرح بذلك نيتشه بنفسه قائلا: " أنا لست إنسانا ، أنا عبوة ديناميت أتفلسف بضربات المطرقة". ثم أضاف " إني أكتب لفلسفة للمستقبل ، و ستخصص كراسي لتدريس الفكر النتشوي... أنا شيء و كتاباتي شيء آخر إني سابق لأواني ...". فهو عندما قال هذا الكلام ليس من باب الترف الفكري أو ما شابه ذلك، و إنما قال هذا، لأنه اكتشف بعض النواقص في تحليل قضايا الفكر الفلسفي السابق خصوصا مع أفلاطون بالتحديد، كما تمرد على أغلب الأنساق الفلسفية الماضية محطما أغلبها بمطرقته، بحيث لم يترك نفسه يبقى نكرة كما كان يردد.

و لما كان كل عمل يقتضي من صاحبه طريقة أو منهج ، فكذلك عمل نيتشه كما هو معروف لدى دارسيه على وجه الخصوص، و دارسي الفكر الفلسفي عموما ، فقد استهوته الكتابة الشذرية و التفكير الجدري فاتخذ المنهج الجينيالوجي طريقة له في الكتابة، أو بتعبير آخر النقد الجينيالوجي من خلال مجموعة من المسائل و المفاهيم، مثل مسألة النفس و الجسد و مسألة القراءة و مسألة الحقيقة و الميتافيزيقا و الأخلاق. لذا قد شكل المنهج الجينيالوجي الذي أرسى قواعده "فرديرك نيتشه" منعطفا جديدا في الخطاب الفلسفي المعاصر نتيجة لما أحدثه من قطيعة فكرية مع المناهج الفلسفية السائدة من جهة وما فتحه من أفاق جديدة في التفكير الفلسفي المعاصر من جهة أخرى فما المقصود بالمنهج الجينيالوجي عند فريدريك فلهلم نيتشه؟ و كيف اشتغل نيتشه بهذا المنهج؟ و ما هي المفاهيم المركزية التي كانت محط اشتغاله؟

مفهوم الجينيالوجيا: تطلق لفظة جينيالوجيا على سلسلة النسب "علم الأنساب" فهي مركبة من الكلمة اليونانية Genea وتعني عرق و Logy وتعني علم، وهناك من ير ى أن كلمة الجينيالوجيا تتكون من حيث اشتقاقها من كلمتي مصدر "جينوس" و "لوغوس" وتستخدم في اللغة العامة للدلالة على علم الأنساب، إلا أن استخدامها الفلسفي قد تغير بعض الشيء خاصة في كتابات نيتشه الذي حولها إلى البحث عن مصادر القيم و

الأخلاق. ومن هنا أصبح معنى الجينيالوجيا يعني في الخطاب الفلسفي عموما تتبع أصول موضوع ما أو فكرة، وتقديم عرض تاريخي متسلسل لظهوره ونشأته وتطوره،ليس الغاية منه تبريره وإضفاء طابع المعقولية والمشروعية كما كان سائدا، وإنما انتقاده وإبراز طبيعته النسبية. وأصبحت الجينيالوجيا تعني التنقيب والتقصي التاريخي وهي وظيفة نقدية، غايتها تبيان أن الإنسان متناه ودعائمه الأخلاقية والثقافية تاريخية ونسبية. يقول نيتشه" إننا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية، فقيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل شيء على بساط البحث."

يبدو من كلام نيتشه أن الجينيالوجيا نوع جديد من الممارسة، ومن ثمة فقد كان من الضروري أن تعرف الشروط والأوساط التي ولدت فيها القيم والتي كانت بمثابة الرحم الذي نمت فيه وتشوهت، أن تعرف تلك الشروط معرفة لم يحدث لها مثيل حتى الآن فالقضية المطروحة هي قضية التجوال في صقع الأخلاق تجوالا يطرح كمية من المشكلات الجديدة التي ينظر إليها بأبصار جديدة. وبهذا في نظر نيتشه فإن الأفكار قد خانت أعظم مؤرخي الأخلاق الذين كانوا يستعينون، بها لقد غيبت عنهم الذهن التاريخي في استيعاب الماضي وفهمه، لأنهم يتبنون طريقة منافية للتاريخ بصورة جلية تتمثل في الحكم على أصول المفاهيم وفق طريقة سطحية وبدون أدنى مبالاة لهذا ظهرت الجينيالوجيا لأول مرة كفن لقراءة التاريخ، تاريخ الأفكار والمفاهيم وكان ذلك تحت صيغة "الحس التاريخي"أو الفلسفة التاريخية .وبهذا تكون الجينيالوجيا علم الأصول أو كما هو شائع بين جمهور الفلاسفة على أنها البحث في الأصل لا باعتباره اللحظة الممتازة التي يتوقف عندها التاريخ في عودته إلى الخلف، وإنما الجينيالوجيا هنا وبهذا المعنى تبدأ في تكسير الأحجبة "الأصول" المنوطة بها لتظهر أمامنا كفن العمق الذي لا يحتوي على قرار، وبهذا فإن الفلسفة التاريخية كان يجب عليها أن تكشف عما كمن وبطن وكفن في الماضي، هذا الكامن كان من الممكن جدا أن يظهر فوق السطح ألن الحقيقة البراقة والموزعة للسعادة مصدرها قرون من العقول الميتافيزيقية التي مارست السياسات التخاذلية وقدمت التنازلات الفكرية بمنعتها، أي منعت الحقيقة من أن تشع ببساطتها وتمنحها الفرصة لتظهر أو تبدو على الأقل كحقائق محتشمة، والحقائق المحتشمة تلك هي التي ستخضع لمبدأ الأولوية بدل التباهي ببعض الخلائط الكيماوية لبعض الأفكار والأحاسيس التي بمجرد أن تتفكك تتهاوى وتندثر.

الجينيالوجيا والتأسيس لسؤال الأصل:

يفتتح نشته كتابه "جينيالوجيا الأخلاق" بقوله:" إن أفكاري عن مصدر أحكامنا المسبقة في الأخلاق - إذ بها يتعلق الأمر في هذا المؤلف السجالي- إنما أخذت تعبيراتها الأولى والضنينة والمؤقتة ضمن ذلك المجموع من الشذرات الذي يحمل عنوان "إنساني مفرط في إنسانيته، كتاب للعقول الحرة"فالمشروع الجينيالوجي النيتشوي لا يؤرخ له بكتابه جينيالوجيا الأخلاق بل نجد له إرهاصات سابقة جاعلا من الأخلاق تطبيقات أكيدة لهذا المنهج بحثا في

القيم بما هو قائم لتصبح الجينيالوجيا بذلك "أحد الابتكارات العظيمة لنيتشه في الحقل الفلسفي، يتمثل هذا بشهادة الكثير من الفلاسفة والمفكرين أمثال بيير كلوسفسكي و بلونشو وفوكو و دولوز ودريدا في بلورتهم لمفهوم القراءة كآليات وإجراءات لتفكيك النصوص وتأويلها، وفي وقت لم تكن فيه بعد علوم تحليل الخطاب قد ظهرت." وعليه يبدو أن رحلة البحث في الأصول ليست بالسهلة لهذا يتحدث نيتشه أن الدافع الأساس ي لبحثه في الأصل و أصل الأخلاق على وجه التعيين كان هو كتاب أصل المشاعر الأخلاقية حيث يقول: " إن أو ل دافع على التصريح بشيء من فرضياتي حول أصل الأخلاق قد أتاني من كتيب واضح نزيه ورزين بل له رزانة الشيوخ حيث اعترضني على نحو جلي لأول مرة نوع مقلوب ومنحرف من الفرضيات الجينيالوجية هو نوع انجليزي بأتم معنى الكلمة وجذبني إليه بقوة الجاذبية تلك التي تنطوي على كل ما هو مضاد وكل ما هو معاكس، كان عنوان الكتيب هو أصل المشاعر الأخلاقية.

خصائص المنهج الجينيالوجي.

يبين نيتشه في كتابيه "إنساني مفرط في إنسانيته" و"جينيالوجيا الأخلاق"، أهم خصائص المنهج الجينيالوجي عندما أكد على ضرورة تحرر العقل المستعبد بالواجبات والقيم القديمة المبجلة ، ليصير العقل حرا ويزداد تحررا إذا وضع في ذهنه أن الفضائل مجرد أدوات يتحكم فيها الإنسان، كما يجب عليه أن يتحرر من الأحكام المسبقة الدينية أو الأخلاقية أي التحرر من وهم الحكم الأخلاقي والديني المسبق والتموضع وراء الخير والشر، و التحرر من روح العصر وثقافته وذلك باعتماد الشك والنقد، وفي هذا الصدد يقول نيتشه: "إنني اعتقد أنا أيضا انه لا احد قد نظر إلى العالم بشك في عمق شكي"، لقد اعتقد اغلب الفلاسفة أن الأخلاق أمر معطى بديهي لا يقبل الشك "كانت قيمة القيم أمرا معطى واقعيا بمنأى عن كل شك وتساؤل، فقد أضفي على الطيب قيمة أرفع من القيمة التي أضفيت على الخبيث "

يرى نيتشه أن لكشف القيم وإبراز قيمتها وإعادة تقييمها لابد من البحث عن الأسباب الخفية المتحكمة فيها، والمقارنة لطرح قضايا جديدة بنظرة نقدية حيث يصرح نيتشه مؤكدا على ضرورة "التجوال في صقيع الأخلاق تجوالا يطرح كمية من المشكلات الجديدة التي ينظر إليها بأبصار جديدة"، فالتجوال يساهم في اكتشاف أنماط جديدة وقضايا جديدة مختلفة تمتاز بالنظرة الثاقبة واللاتحيز، والوعي التاريخي لتطور القيم، كما يجب أن تتميز الأفكار بالنضج والوضوح والصلابة والإتقان، وأيضا الامتزاج والتداخل وتكون اللغة واضحة والمفاهيم دقيقة، "تلك هي وسيلة التفكير الوحيدة التي يخلق بالفيلسوف أن يتبعها". فضلا عن ذلك يجب اليقظة والتنبه إلى افتراضات مبنية على الفراغ، بالاعتماد على الوثائق "اللون الرمادي" أي ضرورة المعرفة التاريخية للنصوص، وذلك عن طريق فقه اللغة أي الفيلولوجيا لدراسة النصوص القديمة كما هي في أصلها الأول وبدايتها الأولى لكشف أسباب نشأتها وظروف تشوه معناها الأصلي وتحديد الإرادة المتحكمة فيها والمتخفية من ورائها أي نزع

القناع. إن غاية الجينيالوجيا هي تجاوز تبجيل الأصل،"فهم الأصل يحد من شأن الأصل"، فالقيمة المعطاة للأصل مجرد قناع يحتاج إلى تأويل، "ومعنى البحث في الأصل هو العودة إلى الوراء لإلقاء النظرة التاريخية على ماهية الشيء للحصول عليه وهو في نقائه الأول"، فليست بداية الأشياء وأصولها كاملة، والبحث عن الأصل معناه في الأخير الشروع في إماطة اللثام عن هوية أولى، وبعد العودة إلى الأصول الأولى نقوم بالتحليل والتفكيك يتبين لنا القوة المتحكمة في هذا الأصل. ومن هنا فالجينيالوجيا تحليل للأفكار لاكتشاف القوى الفاعلة وتفسير النشاطات الفعلية، حيث يجب البحث عن القوى المستولية على الأفكار وأيضا الإرادة التي تعبر عن نفسها فيها وتختفي فيها في نفس الوقت، فتصبح بحث عن استراتيجيات الهيمنة، "فالتاريخ ليس تقدما لعقل كوني وإنما لعبة الانتقال من سيطرة إلى أخرى"، فمن خلال تحليل الأفكار تظهر لنا حقيقة الأشياء التي كانت تختفي وراء الأقنعة. وعليه فإن الجينيالوجيا تسعى الى كشف وتعرية ونزع الأقنعة لتحديد قيمة القيم والقوى المتحكمة فيها ومن ثم إبراز نوعية النموذج المنتصر ونتائجه الواقعية حضاريا وثقافيا وفكريا.

آليات المنهج الجينيالوجي عند نيتشه.

يقوم المنهج الجينيالوجي عند نيتشه على جملة من الآليات يمكن حصرها في ما يلي:

*- **العودة إلى الوراء:** وتعني تتبع مراحل نشأة المفاهيم والقيم و تطور دلالتها لا من حيث تسلسلها المنطقي والعقلاني كما حدث بل على اعتبار أن القيم الأخلاقية والأفكار ليست لها أصولا ثابتة متعالية خارجية، وإنما هناك شروطا واقعية وجودية مرتبطة بمطالب الحياة والمصالح الشخصية الكامنة وراء إنتاج المفاهيم وتطويرها عبر العصور، فالغاية من الوقوف عند البدايات والأصول ليس لكونها حقيقة الحقائق وإنما كنوع من الخطأ، وبهذا تصبح الجينيالوجيا العودة إلى بداية التاريخ أو الأصل والميلاد لكشف أسباب نشأته 24 اذ يجب تصحيح النصوص والتحدث إليها وتفسيرها تفسيرا فيلولوجيا أي فهم ما يقوله الكاتب، فكل نص له معناه الأصلي لابد من فهمه عن طريق التأويل والتفسير الفيلولوجي، إذ "لم تكتسب كل العلوم استمرارية وثباتا، إلا حين بلغ فن القراءة الجيدة أي فقه اللغة ذروته" فلكل مفهوم جذره اللغوي يتوجب تقصيه لتبيان القوة المتحكمة فيه والمعنى السائد ومدى تطوره وتغيره عبر التاريخ؛ وعليه فإن العودة إلى البدايات ليس لاستعادة جذور الهوية والتراث، وإنما للتحطيم والهدم من أجل إنتاج اختلافها.

***- النقد والجدل:**

إن فلسفة نيتشه هي إعادة تقويم القيم وقلبها، بالسعي إلى تجاوز الميتافيزيقا في مواجهة العدمية الأوروبية وحتى يتم هذا لابد من أن تكون فلسفة المعنى والقيم نقدية، ولتحقيق ذلك لابد أولا من إقامة جينيالوجيا للعدمية، وذلك بإرجاع الفكرة إلى جذرها كوجهة إلى الوراء والماضي، ومساءلة الأصنام التي كانت عبارة عن يقينيات،

فتصبح مطرقة الفلسفة تحطيم الزائف والأجوف، "إذن الجينيالوجيا هي بمنظار فيلولوجي بحث المشاكل بحثا مفككا للغة عبر التاريخ. يجب قلب كل القيم دون مراعاة أصولها الأولى المتخفية وإعادة الاعتبار للإنسان خالق القيم، وذلك من خلال نقد القيم وإعادة طرح قيمة القيم؛ لمعرفة الأسباب التي أحدثتها وشوهتها، لهذا يضع نيتشه الحس التاريخي "وهو العلم الذي لا يستند إلى مطلق ويفلت من قبضة الدين والميتافيزيقا ليكون الأداة المفضلة للجينيالوجيا، انه العلم الذي يمحو كل المقدسات التقليدية بغية تحرير الإنسان وعدم الحفاظ على الأصل الذي يتعرف فيه الإنسان على نفسه"، ومنه فان الجينيالوجيا هي إعادة تقييم القيم وقلبها اعتمادا على التفسير والنقد والتأويل.

*- **التأويل:** لا يمكن معرفة أي معنى لأي ظاهرة أو أي شيء إلا إذا تعرفنا على القوة التي تتملك الشيء أو تسيطر عليه أو تختفي فيه لتعبر عن نفسها فيه، والتاريخ هو "تعاقب القوى التي تستولي عليه، وتعايش القوى التي تصارع من أجل الاستيلاء عليه، كما أن الموضوع ذاته، والظاهرة ذاتها، يتبدل معناهما وفقا للقوة التي تستحوذ عليهما"، على هذا الأساس يصبح البحث عن أصول القيم كشف عن الأقنعة دون بلوغ الحقيقة؛ لأن تاريخ الأفكار لعبة لا نهائية من التأويلات تختفي وراءها دائما إرادة القوة التي تفرضها، فالقيمة ذاتية نابعة من إرادة القوة ، لابد من تأويل كل الخطابات، فالتأويل إبداع يفتح الآفاق لكشف الأسباب الخفية والقوى المتحكمة في خلق القيم، يجب على الذات أن تخلق القيم بإرادتها من خلال عملية التأويل؛ فالمعنى ليس مطلقا وإنما يتعدد نظرا لتعاقب المعاني بفعل صراع التاريخ وصيرورته.

المصادر والمراجع

- حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان، ط 1 ، 2009.
- نيتشه فريدريك، إنساني مفرط في إنسانيته، ترجمة: محمد الناجي، المؤسسة أفريقيا الشرق، المغرب، 2002 .
- نيتشه فريدريك، أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،" د س"
- عبد الله، عبد الهادي المرهج: نقد المركزيات في فلسفة نيتشه، دار الروافق الثقافة، بيروت، ط1 ،2012.
- عبد الرزاق بلعقروز ، نيتشه: مهمة الفلسفة قلب التراتب الفكري و التأويل الجمالي للحياة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 ، الجزائر، 2010 .
- مراد قواسمي: في معنى التاريخ عند نيتشه سؤال الأصل و مشروع التأويل، دار، الجزائر، 2012.